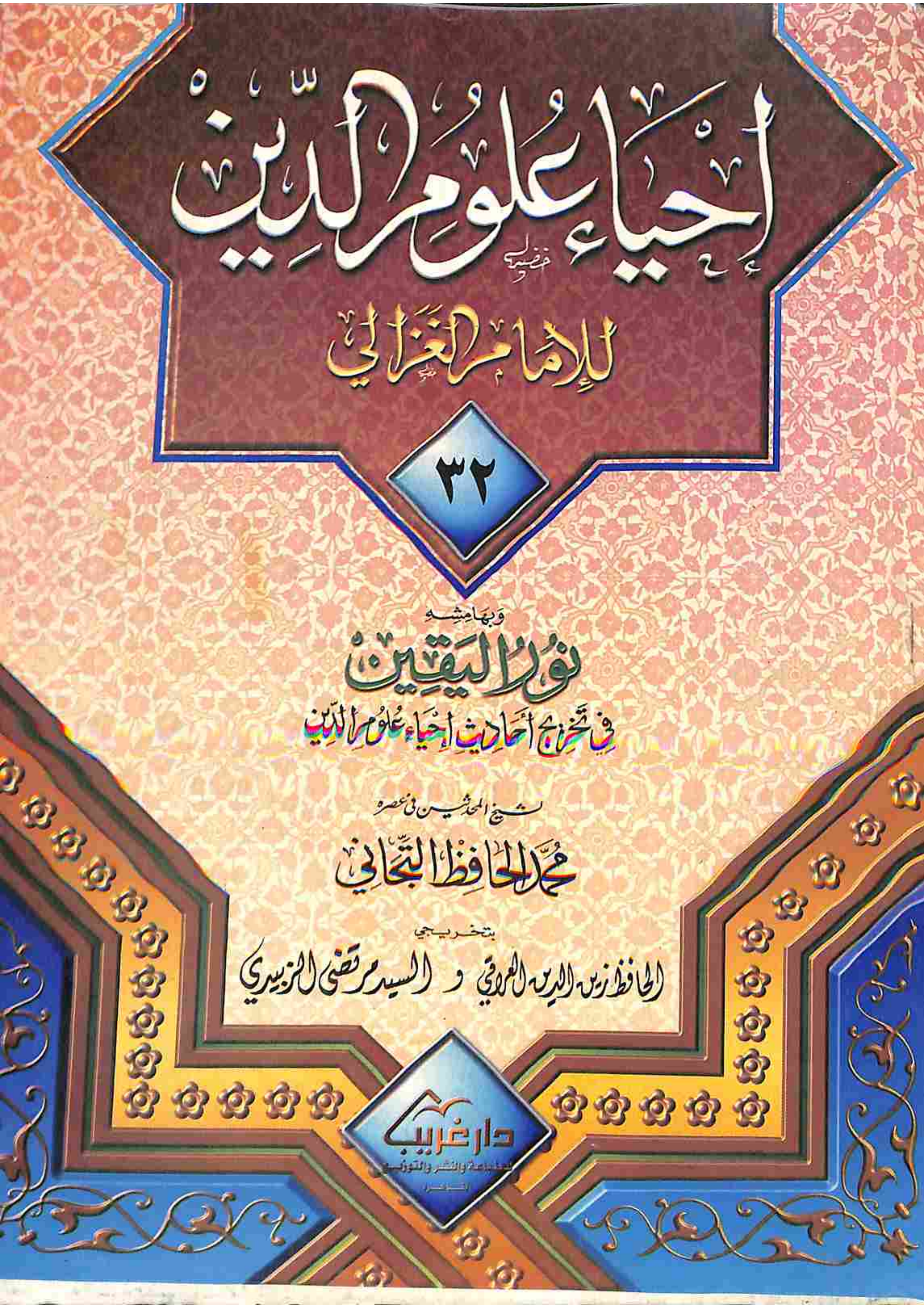

إحياء علوم الدين
للإمام الغزالي
٣٢
وبهامشه
نور اليقين
في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين
لشيخ المحدثين في عصره
محمد الحافظ التجاني
بتخريجي
الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي
دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى أحرق قلوب أوليائه بنار محبته ، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته ، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى ، وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى ، فلم يروا فى الكونين شيئا سواه .

ولم يذكروا فى الدارين إلا إياه ، إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصوّر بصائرهم ، وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم، وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه ، ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه ، ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى ما لديه ، ولا انبعاثهم إلا له ، ولا ترددهم إلا حواليه ، فمنه سماعهم وإليه استماعهم .

فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم ، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته ، واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته ، والصلاة على محمد المبعوث برسالته ، وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته وسلم كثيرا .

أما بعد :

فإن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ، ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر ، وأخفيت كما أخفى الماء تحت التراب والمدر ، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ، ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع .

فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه .

فالسماع للقلب محك صادق ، ومعيار ناطق ، فلا يصل نفس السماع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه .

وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكامنها ، وكشفت بها عن مساويها وأظهرت محاسنها وجب شرح القول فى السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات ، وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات ، وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء فى أنهما من المحظورات أو المباحات ونحن نوضح ذلك فى **بابين :**

الباب الأول : فى إباحة السماع .

الباب الثانى : فى آداب السماع ، وآثاره فى القلب بالوجد وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب .

الباب الأول

في ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوّفة فى تحليله وتحريمه :

اعلم أن السماع هو أوّل الأمر ، ويثمر السماع حالة فى القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص .

فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول :

وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب فيه ، ثم نذكر الدليل على إباحته ، ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما نقل المذاهب فقد حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه .

وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته .

وقال القاضى أبو الطيب : استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب ، وسواء كانت حرة أو مملوكة ، وقال : قال الشافعى رضي الله عنه : صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ، وقال : وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول : وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن .

وقال الشافعي رحمه الله : ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ، ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة .

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده .

وأما أبو حنيفة ﷺ فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب ، وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم .

فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة فقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم ، وقد قال : فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان ، وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال : وكان لعطاء جاريتان يلحنان، فكان إخوانه يستمعون إليهما قال : وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون فقال : وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني ، فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء ، فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة ، حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبى ، وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه ، وجده فى الدين وتشميره قال : وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع .

وحكى غير واحد أنه قال : اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فى نظرائهم، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع ، فقال ابن داود : حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى ، فقال أبو القاسم ابن بنت منيع : أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود: دعنى أنت من أبيك ، وقال لابن بنت منيع دعنى أنت من جدك أى شىء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر ، أهو حرام ؟ فقال ابن داود : لا ، قال : فإن كان حسن الصوت حرم عليه انشاده ؟ قال : لا ، قال: فإن أنشده وطوله ، وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه ؟ قال : أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين .

قال : وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع، وصنف فيه كتابًا ورّد فيه على منكريه وكذا جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له: ما تقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا ؟ فقال : هو الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء .

وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال : رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت : يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال : ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن .

وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق وكان من أهل العلم أنه قال : كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر ، فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبى وقلت : فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر ، قال فرأيت النبى ﷺ تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول ، والنبى ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك ، فقلت فى نفسى : ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون ، وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول ، فالتفت إلىّ رسول الله ﷺ وقال : هذا حق بحق أو قال حق من حق ، أنا أشك فيه .

وقال الجنيد : تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا فى مقامات الصديقين، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا .

وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع ، فقيل له : أيؤتى يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال : لا فى الحسنات ولا فى السيئات ، لأنه شبيه باللغو، وقال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (البقرة : ٢٢٥) .

هذا ما نقل من الأقاويل، ومن طلب الحق فى التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشهى ، وكل ذلك قصور ، بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه ، وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره .

بيان الدليل على إباحة السماع

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على

المنصوص ، وأعنى بالنص ما أظهره ﷺ بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فإن لم يكن فيه نص ، ولم يستقم فيه قياس على منصوص ، بطل القول بتحريمه وبقى فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ، ويتضح ذلك فى جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم .

ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا فى إثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول : قد دل النص والقياس جميعا على إباحته ، أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها ، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب ، فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره ، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار ، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات .

أما سماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب فلا ينبغى أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس ، أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به ، وللإنسان عقل وخمس حواس ، ولكل حاسة إدراك وفى مدركات تلك الحاسة ما يستلذ ، فلذة النظر فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن .

وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهى فى مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة ، وللشم الروائح الطيبة وهى فى مقابلة الانتان المستكرهة ، وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة ، وهى فى مقابلة المرارة المستبشعة ، وللمس لذة اللين والنعومة والملامسة وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة ، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهى فى مقابلة الجهل والبلادة ، فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها .

فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها .

وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن أمتنان الله تعالى على عباده به.

« إذ قال : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ (فاطر : ١) فقيل : هو الصوت الحسن »(٢٢٥٥).

وفى الحديث قال ﷺ : « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت »(٢٢٥٦).

وقال ﷺ : « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته »(٢٢٥٧).

وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام « إنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور ، حتى كان يجتمع الأنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته ، وكان يحمل فى مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها فى الأوقات»(٢٢٥٨).

(٢٢٥٥) حديث : « قال فى كتابه العزيز ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ قيل فى تفسيره هو حسن الصوت ».

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا فسره الزهرى أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى في شعب الإيمان كلهم بأسانيدهم عنه وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال الصوت الحسن .

(٢٢٥٦) حديث : قال ﷺ : « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » **قال العراقى :** رواه الترمذى فى الشمائل عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت ورويناه متصلا في الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطنى ورواه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بن أبى طالب وطرقه كلها ضعيفة .اهـ.

(٢٢٥٧) حديث : قال ﷺ : « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » **قال العراقى :** تقدم فى كتاب تلاوة القرآن حديث رقم ٨٦٨ ص ٨٨٦.اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد وابن ماجه والبيهقى فى السنن والحاكم في المستدرك من حديث فضالة بن عبيد وقال الحاكم صحيح على شرطهما .

(٢٢٥٨) حديث : « كان داود » عليه السلام « حسن الصوت في النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه=

وقال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود » (٢٢٥٩) .

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٩) .

يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال : إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن ، وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة ، وإن من الشعر لحكمة .

فهذا نظر في الصوت من حيث أنه طيب حسن .

الدرجة الثانية : النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ، فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب ، والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها **ثلاثة** ، فإنها :

= أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات » هكذا أورده صاحب القوت وصاحب العوارف ولفظ القشيري في الرسالة وقيل إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور وكان يحمل كل يوم من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن يسمع قراءته **وقال العراقي:** هذا الحديث لم أجد له أصلا .اهـ.

قال مرتضى : قال ابن بطال : قال أبو عاصم : حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال كانت لداود عليه السلام معزفة يتغنى عليها يَبكي ويُبكي قال وقال ابن عباس إن داود عليه السلام كان يقرأ الزبور بسبعين لحنا يلون فيهن ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم فإذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة بر أو بحر إلا انصتن ويستمعن ويبكين .

(٢٢٥٩) حديث: قال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود » **قال العراقي :** تقدم في كتاب تلاوة القرآن حديث رقم ٨٩٥ ص ٩٠٥ .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه الشيخان وثبت أيضا أن معاذ بن جبل قال لرسول الله ﷺ لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرته تحبيرا ومن ذلك أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قرأ فرجع وقرأ أبو إياس وقال لولا أني أخشى أن يجتمع على الناس لقرأت بذلك اللحن الذي قرأ به رسول الله ﷺ وهو في الصحيحين من رواية شعبة .

إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره.

وإما أن تخرج من حنجرة حيوان ، وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السجع من الطيور ، فهى مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع ، فلذلك يستلذ سماعها .

والأصل فى الأصوات حناجر الحيوانات ، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة ، وما من شىء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال فى الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول .

فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة ، فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور ، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان ، فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره .

« **ولا يستثنى من هذه إلا الملاهى والأوتار والمزامير** » (٢٢٦٠) التى ورد الشرع بالمنع منها لا لذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ، ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء إلى كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمها من قبل الاتباع كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين ، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر ، وما من حرام إلا وله حريم يطيف به .

(٢٢٦٠) حديث : «المنع الملاهى والأوتار والمزامير» **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى : ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والمعازف ، صورته عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والإسماعيلى=

وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله ، كما قال ﷺ : « **إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه** » .

فهى محرمة تبعًا لتحريم الخمر **لثلاث علل :**

إحداها : أنها تدعو إلى شرب الخمر ، فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر .

الثانية : أنها فى حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب ، فهى سبب الذكر ، والذكر سبب انبعاث الشوق ، وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام .

ولهذه العلة « **نهى عن الانتباذ فى المزفت والحنتم والنقير** » (٢٢٦١) .

= والمعازف : الملاهى قاله الجوهرى ولأحمد من حديث أبى أمامة : إن الله أمرنى أن أمحق المزامير والكبارات يعنى البرابط والمعازف وله من حديث قيس بن سعد بن عبادة : إن ربى حرم على الخمر والكوبة والقنين وله فى حديث لأبى أمامة بإستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبى الشيخ من حديث مكحول مرسلاً : الاستماع إلى الملاهى معصية . . . الحديث ولأبى داود من حديث ابن عمر : سمع مزمارًا فوضع أصبعيه على أذنيه ، قال أبو داود : وهو منكر .اهـ.

قال مرتضي : وسيأتى ذكر بعضها عند الكلام فى الجواب عن أدلة المحرمين ولا عبرة بتضعيف ابن حزم بعد أن وصله أبو داود الإسماعيلى وكذا البيهقى والبخارى إذا علق شيئًا بصيغة الجزم يحتج به ثم إن البخارى علقه عن هشام بن عمار وقد لقيه فيحمل على السماع فالحكم حينئذ للوصل كما هو معروف فى موضعه .

(٢٢٦١) حديث : « النهى عن الحنتم والمزفت والنقير » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن عباس .اهـ.

قال مرتضى : أخرج البخارى من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس وفيه فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع الحنتم والدباء والمزفت والنقير وربما قال المقير قال أبو هريرة الحنتم هى الجرار الخضر وقال ابن عمر هى الجرار كلها وقال أنس : جرار يؤتى بها من مصر مقيرات الأجواف وقالت عائشة جرار حمر أعناقها فى جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر وقال ابن أبى ليلى أفواهها فى جنوبها يجلب فيها الخمر من الطائف وكان ناس ينتبذون فيها،=

وهى الأوانى التى كانت مخصوصة بها ، فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها، وهذه العلة تفارق الأولى ، إذ ليس فيها اعتبار لذة فى الذكر ، إذ لا لذة فى رؤية القنينة وأوانى الشرب ، لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لخصوص هذه العلة فيه .

الثالثة : الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم **«لأن من تشبه بقوم فهو منهم»** (٢٢٦٢) .

وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعاراً لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم، وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ، ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو .

وبهذه العلة نقول : لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحيى بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم ، وإن كان المشروب مباحا فى نفسه ، لأن فى هذا تشبها بأهل الفساد ، بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا فى بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ، ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم .

= وفى صحيح مسلم من حديث بريدة كنت نهيتكم عن الإنتباذ إلا فى الأسقية فانتبذوا فى كل وعاء ولا تشربوا مسكراً .

(٢٢٦٢) حديث : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه أحمد وأبو داود والطبرانى فى الكبير من حديث أبى منيب الجرشى عن ابن عمر به مرفوعًا بسند فيه ضعف ويروى عن الحسن قال : قلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم .

فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها ، وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج ، وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب ، لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها ، فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول : سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا .

وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة ، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (الأعراف : ٣٢) .

فهذه الأصوات لا تحرم من حيث أنها أصوات موزونة ، وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة .

الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم وهو الشعر ، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك، لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما ، والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام ، فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع .

نعم ينظر فيما يفهم منه ، فإن كان فيه أمر محظور حرم نظمه ونثره وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن ، والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى إذ قال : « **الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح** » (٢٢٦٣) .

(٢٢٦٣) حديث: « الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وقد روى ذلك أيضا عن ابن سيرين وعن الشعبي كما نقله ابن عبد البر وقد أخرج البيهقي في السنن هذا حديثا مرفوعا من عدة طرق والصحيح أنه مرسل وأخرجه أبو يعلى الموصلي من حديث عائشة قالت سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وإسناده جيد وأخرج البخاري في الأدب المفرد=

ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان . فإن إفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ، ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا .

وكيف ينكر إنشاد الشعر « وقد أنشد بين يدى رسول الله ﷺ » (٢٢٦٤) .

= والطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وحكى الماوردى فى الحاوى والرويانى فى البحر أن الشعر ينقسم إلى محرم ومباح ومستحب وأن المستحب على قسمين الأول ما حذر من الآخرة والثانى ما حث علي مكارم الأخلاق ومن المستحب مدح الأنبياء عليهم السلام والصحابة وأهل التقوى وأمثال ذلك .

(٢٢٦٤) حديث : « إنشاد الشعر بين يدى رسول الله ﷺ » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك . . . الحديث ولمسلم من حديث عائشة إنشاد حسان قصيدته المشهورة :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

القصيدة وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بيت مخزوم ووالدك العبد

وللبخارى إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

الأبيات . اهـ.

قال مرتضى : وأخرج البيهقى فى الدلائل أن العباس رضي الله عنه قال : يا رسول الله أريد أن أمدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك فأنشدته :

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا نطفة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق =

وقال ﷺ : «إن من الشعر لحكمة» (٢٢٦٥) .

وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

«ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب» (٢٢٦٦)

= وقال البيهقي : أبو عبد الله الحافظ أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بهمدان حدثنا إبراهيم ابن الحسن حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال أنشد النبي ﷺ بانت سعاد في المسجد بالمدينة فلما بلغ قوله :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليأتوا فيستمعوا منه .

(٢٢٦٥) حديث : « إن من الشعر لحكمة » **قال العراقي :** أخرجه البخاري من حديث أبى بن كعب .اهـ.

قال مرتضى : والترمذى من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح وقد تقدم في كتاب العلم حديث رقم ٩٨ ص ١٤٨ .

(٢٢٦٦) حديث : أنشدت عائشة رضي الله عنها بيت لبيد بن ربيعة رضي الله عنه :

«ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب»

قال مرتضى : أغفله العراقي وهو مسلسل قال الحافظ بن ناصر الدمشقى فى نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار أخبرنا أبو العباس أحمد بن حجر بن موسى بن أحمد بن الحسباني بقراءتى عليه بظاهر دمشق سنة ٨٣٠ أخبر أبو عمرو وعثمان بن يوسف بن القواس قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم الطائى أخبرنا عبد الواحد ابن عبد الرحمن بن سلطان وأبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي قالا أخبرنا أبو الحسن على بن مهدى أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسين بن محمد الحنائى فى سنة ٥٠٢ أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن الدارمى البغدادى فى سنة ٤٦٩ ح وأخبرنا يوسف بن عثمان العوفى قراءة عليه وأنا أستمع أنبأنا ابن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبرى أخبرنا على بن هبة الله بن الجميزى سماعا عليه فى سنة ٤٥٤ أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفى أخبر أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفى بغداد فى سنة ٤٣٣ أخبرنا أبوالفتح عبد الكريم بن محمد بن أحمد المحاملى قال هو والدارمى واللفظ له أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزار ببغداد حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل الليثى حدثنا يعيش بن الجهم عن أبي ضمرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها=

= كانت تتمثل بأبيات لبيد بن ربيعة ﷺ :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب
يتحدثون مخافة وملامة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

قالت عائشة ﷺ : رحم الله لبيدا كيف لو أدرك زماننا هذا قال عروة رحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا وقال هشام رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا هذا وقال أبو ضمرة رحم الله هشاما كيف لو أدرك زماننا هذا والتسلسل إلى آخره ثم قال أبو ضمرة أنس ابن عياض وثقه أبو حاتم وقال ابن عدي له أحاديث غير محفوظة وقال غيره منكر الحديث ثم قال وقد رويناه في مسلسلات الإبراهيمي بشرطه من طريق أبي الفوارس أحمد بن محمد السدى حدثنا إبراهيم بن مرزوق حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن عائشة فذكره وإبراهيم بن مرزوق يخطئ ويضر ولا يرجع ذكره الدارقطني ثم قال وهذا الحديث له طرق منها ما أخبرناه عاليا عبد الرحمن بن محمد بن الشهاب الفارقي بقراءتي عليه أخبرك أبو محمد القاسم بن المظفر الدمشقي قراءة عليه وأنت تسمع فاقر به أخبرنا محمود بن إبراهيم بن سفيان العبدي في كتابه إلى أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد الباغباني سماعا أخبرنا أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن منده سمعت أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيي العبدى سمعت الحسن بن يوسف الظرائفي بمصر سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت أبا ضمرة يعني أنس بن عياض يقول سمعت هشام بن عروة يقول سمعت أبي يقول سمعت عائشة ﷺ تقول يرحم الله لبيدا حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في نسل كجلد الأجرب

قالت عائشة ﷺ فكيف بلبيد لو أدرك زماننا هذا ثم ساق التسلسل إلى آخره قال وأخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن الفارقي إجازة عن أحمد بن أبي بكر البكارى أن الحسين بن عطية أخبره في سنة ٤٩٥ أخبرنا علي بن مختار أخبرنا أبو طاهر السلفي الحافظ أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرى حدثنا أبو بكر أحمد بن الفضل أخبرنا الحافظ أبو عبد الله بن منده العبدى قال أخبرنا خيثمة بن سليمان حدثنا محمد بن عوف بن سفيان حدثنا عثمان بن سعيد الحمصي حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن الوليد الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ﷺ أنها ذكرت لبيدا ﷺ حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب
يتحاورون صيانة وملامة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

=

= ثم قالت عائشة رحم الله لبيدا لو أدرك زمانا هذا ثم ساق التسلسل إلى آخره قال ورواه عن خيثمة بن سليمان أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يحيى القطان الدمشقى والخضر بن عبد الوهاب بن يحيى الحرانى مسلسلا بنحوه ورواه أبو عبد الله الحصين بن محمد بن الحسين بن شعيب بن فنجويه الدينورى فى مسلسلاته عن أبى عمرو بن عثمان بن عمر بن خفيف الدراج حدثنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة حدثنا محمد بن عوف فذكره وحدث به ابن المبارك فى الزهد فقال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة سمعت عائشة تقول قال لبيد :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ... وبقيت فى نسل كجلد الأجرب
يتحدثون مخافة وملاذة ... ويعاب قائلهم وإن لم يغشب

قالت فكيف لو أدرك لبيد قوما نحن بين ظهرانيهم قال الزهرى وكيف ولو أدركت عائشة من نحن بين ظهرانيهم اليوم قال وقد جاء عن وكيع عن هشام مسلسلا وذلك فيما رواه الحافظ أبو الغنائم الترسى قال أخبرنا أبوعبد الله محمد بن على العلوى حدثنا أبو محمد جناح بن نذير عن جناح المحارى الكوفى حدثنا أبو الحسين على بن الحسن البلخى القطان حدثنا أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن إسحاق الحلواني بحلوان حدثنا على بن عبد المؤمن الزعفراني حدثنا وكيع أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﵂ فذكره بنحوه هذا كله سياق الحافظ ابن ناصر الدين وأورده الحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الأصبهانى الوراق فى مسلسلاته من **طرق أربعة :**

الأولى : مسلسلة يقول كل راو رحم الله فلانا فكيف لو أدرك زماننا هذا عن أبى بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر الحافظ عن أبى سعيد الحسين بن محمد بن الحسن بن ممراق عن أبى بكر أحمد بن محمد بن الفضل الصيرفى عن الزبير بن بكار .

الثانية : مسلسلة يقول كل راو فكيف بفلان لو أدرك زماننا هذا عن أبى منصور محمد ابن عبد الله بن يوسف التاجر عن أبى عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد الجرجاني بالرى عن أبى الحسن أحمد بن محمد بن عيسى البزاز بالقلزم عن محمد بن عبد الله بن يزيد القلزمى.

الثالثة : مسلسلة يقول كل راو فكيف لو أدرك فلان أهل هذا الزمان عن أبى الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن زنجويه المزكى عن أبى الحسن يوسف بن الفضل بن شاذان عن أبى يعلى محمد بن زهير بن الفضل الإيلى حدثنا أحمد بن داود الإيلى.

الرابعة : مسلسلة بقول كل راو سمعت عن أبى الفضل أحمد بن أحمد بن محمود المزكى عن أبى عبد الله محمد بن أبى يعقوب الحافظ عن أبى على الحسن بن يوسف الطرائفى عن محمد=

وروى فى الصحيحين عن عائشة ﵂ أنها قالت : « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ﵄ وكان بها وباء فقلت : يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك ؟ فكان أبو بكر ﵁ إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة ﵂ فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » (٢٢٦٧) .

= ابن عبد الله بن عبد الحكم أربعتهم عن أبى ضمرة أنس بن عياض فذكره وأورده أيضا من وجه آخر عن أبى القاسم الحسين بن محمد بن عمر بن عبدان الواعظ عن أبى بكر أحمد بن عبد الرحمن الحافظ عن أبى عبد الله الحسين بن أحمد الثقفى ببغداد عن أبى العباس الدمشقى أحمد ابن جوصا الحافظ عن أبى عمرو عثمان بن سعيد الحمصى عن أبيه عن محمد بن الوليد الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قال الحافظ ابن ناصر الدين وروينا عن الكديمى قال سمعت أبا نعيم يقول كنت أكثر تعجبى من قول عائشة ﵂ ذهب الذين يعاش فى أكنافهم لكنى أقول :

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا خلفا فى أراذل النسناس
فى أناس تعدهم من عديد فإذا فتشوا فليسوا بناس
كلما جئت ابتغى النيل منهم بدرونى قبل السؤال بياس
وبكوا لى حتى تمنيت أنى منهم قد أفلت رأسا براس

(٢٢٦٧) حديث : روى فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﵂ قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال » ﵄ أى أصابتهما الحمى « وكان بها وباء » أى وخم « فكان أبو بكر ﵁ إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال ﵁ إذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته» أى صوته ويتشوق إلى مكة «ويقول:
=

« وقد كان رسول الله ﷺ ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

هذى الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا ﷺ مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة » (٢٢٦٨)

وهذا فى الصحيحين .

= ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل»

الإذخر والجليل نبتان معروفان ،

ماء مجنة من مياه مكة وشامة وطفيل قال الخطابى كنت أقول إنهما جبلان حتى وردتهما فإذا هما ماآن « قالت عائشة ﵂ فاخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال : اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة أو أشد » الحديث **قال العراقى** : هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخارى فقط ليس عند مسلم .اهـ.

قال مرتضى : وروى فى الموطأ .

(٢٢٦٨) حديث : « كان » رسول الله « ﷺ ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

وقال ﷺ مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة»

قال المصنف : والبيتان فى الصحيحين **قال العراقى** : البيت الأول انفرد به البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثانى أيضا إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني فى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة

وليس البيت الثانى موزونا وفى الصحيحين أيضا أنه قال فى حفر الخندق بلفظ فبارك فى الأنصار والمهاجرة وفى رواية فاغفر وفى رواية لمسلم فاكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار .اهـ.

«وكان النبى ﷺ يضع لحسان منبراً فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ، ويقول رسول الله ﷺ : إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ » (٢٢٦٩) .

« ولما أنشده النابغة شعره قال له ﷺ : لا يفضض الله فاك » (٢٢٧٠) .

(٢٢٦٩) حديث : «كان النبى ﷺ يضع لحسان» بن ثابت ﷺ «منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح » أى يدافع وهو شك من الراوى « ويقول رسول الله ﷺ « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو » قال « فاخر عن رسول الله ﷺ »
قال العراقى : رواه البخارى تعليقا ورواه أبو داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفى الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ .اهـ.

قال مرتضى : وفيهما أيضا من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم أيده بروح القدس فقال أبو هريرة نعم وعندهما أيضا أنه قال له أهجهم وجبريل معك وفى لفظ هاجهم وسيأتى للمصنف وروى أيضا أنه ﷺ قال له كيف تعمل بحسبى ونسبى فقال لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين .

(٢٢٧٠) حديث : « أنه » ﷺ « قال للنابغة لما أنشده شعراً : لا يفضض الله فاك » أى لا يكسر الله سنك **قال العراقى :** رواه البغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال : أنشدت النبى ﷺ :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

الأبيات ورواه البزار بلفظ :

علونا العباد عفة وتكرما

الأبيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول : يا رسول الله إنى أريد أنى أمتدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك فقال العباس:

من قبلها طبت فى الظلال وفى   مستودع حيث يخصف الورق

الأبيات . اهـ.

=

= **قال مرتضى :** ورواه أيضا أبو نعيم فى تاريخ اصبهان والشيرازى فى الألقاب كلهم من طريق يعلى بن الأشرف سمعت النابغة يقول أنشدت النبي ﷺ :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة قال أجل إن شاء الله تعالى ثم قلت :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال لى رسول ﷺ لا يفضض الله فاك مرتين هكذا رواه على بن أحمد البزار عن محمد بن عبد الرحمن المخلص عن البغوى عن داود بن رشيد عن يعلى بن الأشرف ورواه ابن هزارمود على المخلص بلفظ لا يفضض الله فوك مرتين تابعه أحمد بن الأشقر والحسين ابن على الخياط ومحمد بن أحمد بن دحروج ومحمد بن أحمد بن قريش والقاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزاز وأبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى كلهم عن ابن هزارمود ورواه أبو حفص عمر بن إبراهيم الكنانى وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن أخى يمن الدقاق عن أبى القاسم البغوى وحدث به أبو بكر بن أبى داود السجستانى عن أيوب بن محمد الوزان حدثنا يعلى بن الأشرف فذكره بنحوه ورواه أيضا الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف وأبو على ابن السكن فى الصحابة وغيرهما من طريق الرحال بن المنذر عن أبيه عن كرز بن أسامة وكان قد وفد إلى النبى ﷺ عن النابغة الجعدى قال أتيت النبى ﷺ فقلت فذكره ورواه السلفى فى البلدانيات له فيما أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل الحسينى عن عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سالم بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد على اخبرنا محمد بن محمد بن العماد أخبرتنا أم الفضل هاجر ابنة محمد القدسى قالت اخبرنا محمد بن أحمد ابن محمد بن نهين أخبرنا أبو الحسن الراقى أخبرنا أبو القاسم المكى أخبرنا أبو طاهر السلفى اخبرنا أبو طالب نصر بن الحسين قاضى الدينور بها حدثنا أبو سعيد بندار بن على بن الحسن الرواس إملاءً أخبرنا أبو الخير زيد بن رفاعة الكاتب أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء عن نصر بن عاصم الليثى عن أبيه قال سمعت النابغة يقول أتيت رسول الله ﷺ فانشدته حتى أتيت إلى قولى :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا واضح الحق نيرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال إلى أين يا أبا ليلى فقلت إلى الجنة فقال إن شاء الله تعالى فانشدته : **ولا خير فى جهل** البيتين فقال لى صدقت لا يفضض فاك فبقى عمره أحسن الناس ثغرا كلما سقطت له=

= سن عادت له سن أخرى وكان معمرا ورواه الخطابى فى غريب الحديث له وأبو العباس المرحبى فى فضل العلم له من طريق سليمان بن أحمد الحرشى عن عبد الله بن محمد بن حبيب الكعبى عن مهاجر بن سليم عن عبد الله بن جراد قال سمعت نابغة بن جعدة قال أنشدت النبى ﷺ من قولى :

علونا السماء عفة وتكرما وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فغضب النبى ﷺ وقال وأين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة قال أجل إن شاء الله ثم قال انشدنى من قولك فأنشدته وذكرهما فقال لى أجدت لا يفضض الله فاك قال فرأيت أسنانه كالبرد المنهل لا انقصمت له سن ولا انفلت نزف غروبه ورواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب من جهته قال حدثنا العباس بن الفضل حدثنا محمد ابن عبد الله التميمى حدثني الحسن بن عبيد الله حدثني من سمع النابغة الجعدى يقول أتيت النبى ﷺ فانشدته قولى :

وإنا لقوم ما نعوّد خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجو أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا

بلغنا السماء وذكر البيت مع باقى القصة بنحوه وقد وقع لى هذا من وجه آخر مسلسلا بالسرار فيما كتب إلى فخر الديار الشامية أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلى رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى عن موسى النحو عن زين الدين ابن سلطان أخبرنا الشمس محمد بن محمد بن الحسن المزى وأخبرنا عمر بن أحمد الحسينى عن عبد الله بن سالم عن محمد بن العلاء الحافظ عن سالم بن محمد عن محمد بن أحمد ابن على أخبرنا الكمال محمد بن على الطويل قال أخبرنا الشهاب أبو الطيب أحمد بن محمد الحجازى الأنصارى الخزرجي أخبرنا الزين العراقى الحافظ والشرف محمد بن محمد ابن الكويك قال الأول أخبرنا الصلاح خليل بن كلكلدى العلائى أخبرنا الخطيب شرف الدين أحمد أخبرنا العلم السخاوى أخبرنا أبو طاهر السلفى الحافظ أخبرنا أبو الوفاء على بن شهرباى الزعفرانى أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن المظفر اخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسين وقال الثانى أخبرنا أبو عبد الله الذهبى أخبرنا أحمد بن إسحاق أخبرنا عبد السلام بن سهل أخبرنا شهردار بن شهرويه أخبرنا أحمد بن عمر بن البيع أخبرنا حميد بن المأمون قال أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أحمد الفارسى أخبرنا أبو عثمان سعيد بن زيد بن خالد أخبرنا عبد السلام بن رغبان ديك الجن أخبرنا زعبل الخزاعى أخبرنا أبو نواس الحسن بن هانئ أخبرنى والبة بن الحباب أخبرنى أبو المسهل الكميت بن زيد أخبرنى خالى أبو فراس همام بن غالب=

وقالت عائشة رضي الله عنها : « كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم » (٢٢٧١) .

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه رضي الله عنه قال : « أنشدت رسول الله ﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ، ثم قال : إن كاد فى شعره ليسلم» (٢٢٧٢) .

وعن أنس رضي الله عنه « أن النبى ﷺ كان يُحْدَى له فى السفر وأن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله ﷺ : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير» (٢٢٧٣) .

= الفرزدق اخبرنا الطرماح قال لقيت نابغة بنى جعدة قلت له : ألقيت رسول الله ﷺ قال نعم وأنشدته قصيدتى التى أقول فيها بلغنا السماء فساقه .

(٢٢٧١) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها: « كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون الأشعار وهو يتبسم » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة . اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والطبرانى من طرق بلفظ قال جابر بن سمرة شهدت رسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة فى المسجد وأصحابه يتذاكرون الشعر وأشياء من أمر الجاهلية فربما يتبسم رسول الله ﷺ .

(٢٢٧٢) حديث : قال عمرو بن الشريد : قال أبيه رضي الله عنه : « أنشدت النبى ﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد فى شعره ليسلم » **قال العراقى :** رواه مسلم . اهـ.

قال مرتضى : وكان كلما سمع بخروج النبى ﷺ وقصته كفر حسداً له ويروي أيضاً أنه قال : آمن لسانه وكفر قلبه .

(٢٢٧٣) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « كان يحدى له » ﷺ « فى السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال النبى ﷺ يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير» **قال العراقى :** رواه أبو داود الطيالسى واتفق الشيخان منه علي قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك . اهـ. =

ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة ﷺ ، وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة .

ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ ، فلا يجوز أن يحرم من حيث أنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة .

الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث أنه محرك للقلب ، ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول : لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى أنها لتؤثر تأثيرا عجيبا .

فمن الأصوات ما يفرح ، ومنها ما يحزن ، ومنها ما ينوّم ، ومنها ما يضحك ويطرب ، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس .

ولا ينبغى أن يظن أن ذلك لفهم معانى الشعر ، بل هذا جار فى الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج .

وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد فى الصبى فى مهده ، فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه .

= **قال مرتضى :** قال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان البراء بن مالك يعنى أخاه ﷺ يحدو بالرجال وكان أنجشة يحدو بالنساء وكان حسن الصوت فكان إذا حدا اعنقت الإبل فقال النبى ﷺ يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وأخرجه أحمد عن سلمة وهو حديث صحيح وقصة انجشة مخرجة فى الصحيحين من غير هذا الوجه من طريق أيوب عن أبى قلابة عن أنس وسياقه أتم لكن لم يذكر البراء وفيهما من طريق قتادة عن أنس قال كان للنبى ﷺ حاد يقال له انجشة وفيه قال قتادة القوارير ضعفة النسائى وقال أبو مسلم الكجى فى سننه حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا حميد عن أنس قال كان يسوق بأمهات المؤمنين رجل يقال له أنجشة فقال له النبى ﷺ رويدك ارفق بالقوارير وأخرجه عن ابن أبى عدى عن حميد .

والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ، ويستقصر لقوة نشاطه فى سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه ، فتراها إذا طالت عليها البوادى واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها ، وتصغى إلى الحادى ناصبة آذانها وتسرع فى سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهى لا تشعر به لنشاطها .

فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى ﷺ قال : كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب ، فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباءه ، فرأيت فى الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدى البيت وقد بقى منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لى الغلام : أنت ضيف ولك حق فتشفع فىّ إلى مولاى فإنه مكرم لضيفه ، فلا يرد شفاعتك فى هذا القدر فعساه يحل القيد عنى ، قال : فلما أحضروا الطعام امتنعت ، وقلت : لا آكل ما لم أشفع فى هذا العبد ، فقال: إن هذا العبد قد أفقرنى وأهلك جميع مالى، فقلت : ماذا فعل ؟ فقال: إن له صوتا طيبا ، وإنى كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ، ولكن أنت ضيفى فلكرامتك قد وهبته لك، قال : فأحببت أن أسمع صوته ، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقى الماء من بئر هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهى ، فما أظن أنى سمعت قط صوتا أطيب منه .

فإذًا تأثير السماع فى القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته .

ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص ، واختلاف طرق النغمات ، فحكمه حكم ما فى القلب .

قال أبو سليمان : السماع لا يجعل فى القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه ، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد فى مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهى **سبعة مواضع** :

الأول : غناء الحجيج ، فإنهم أولا يدورون فى البلاد بالطبل والشاهين والغناء ، وذلك مباح لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها .

وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا ، وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا .

وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه فى الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر ، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع ، صار الكلام أوقع فى القلب ، فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير ، وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التى هى من شعار الأشرار .

نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذى أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه فى الخروج ، فهذا يحرم عليه الخروج ، فيحرم تشويقه إلي الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج .

فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة ، وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق .

الثانى : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضا مباح كما للحاج ، ولكن ينبغى أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم لأن استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار المشجعة مثل **قول المتنبى :**

فإن لا تمت تحت السيوف مكرما ... تمت وتقاسى الذل غير مكرم

وقوله أيضا :

يرى الجبناء أن الجبن حزم ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة ، وهذا أيضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو ، ومندوب إليه فى وقت يستحق فيه الغزو ، ولكن فى حق من يجوز له الخروج إلى الغزو .

الثالث : الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء ، والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار ، وتحريك النشاط فيهم للقتال ، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة ، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع فى النفس .

وذلك مباح فى كل قتال مباح ومندوب فى كل قتال مندوب ومحذور فى قتال المسلمين وأهل الذمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعى إلى المحظور محظور، وذلك منقول عن شجعان الصحابة ﷺ كعلى وخالد ﷺ وغيرهما .

ولذلك نقول : ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة ، فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ، ويشوق إلى الأهل والوطن، ويورث الفتور فى القتال ، وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب ،

فالألحان المرقِقة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة ، فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عـاصٍ ، ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع .

الرابع : أصوات النياحة ونغماتهـا وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء ، وملازمة الكآبة والحزن **قسمان :**

محمود ومذموم ، فأما المذموم فكالحزن على ما فات .

قال الله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ (الحديد : ٢٣) .

والحزن على الأموات من هذا القبيل ، فإنه تسخط لقضاء الله تعالي وتأسف على ما لا تدارك له ، فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما .

فلذلك ورد « **النهى الصريح عن النياحة** » (٢٢٧٤) .

وأما الحزن المحـمود فهو حـزن الإنسان على تقصيـره فى أمر دينه ، وبكاؤه على خطاياه ، والبكاء والتباكى والحـزن والتحازن على ذلك محمـود ، وعليه بكاء آدم عليه السلام ، وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك .

ولذلك كانت نياحة داود عليه السـلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب ، فقد كان عليه السلام يبكى ويُبكى ويحزن ويُحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكـان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه، وذلك محمود لأن المفضى إلى المحمود محمود.

(٢٢٧٤) حديث : « النهى عن النياحة » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أم عطية : أخذ علينا النبى ﷺ فى البيعة أن لا ننوح .اهـ.

قال مرتضى : وروى أبو داود بلفظ نهى عن النياحة وفى حديث معاوية نهى عن النوح والشعـر والتصاوير وجلود السـباع والتبرج والغناء والذهب والخـز والحرير وعند البيـهقى من حديث ابن عمر أن الميت ليعذب بما نيح عليه .

وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ، ولا أن يبكى ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه .

الخامس : السماع فى أوقات السرور تأكيدا للسرور وتهييجا له ، وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى أيام العيد وفى العرس ، وفى وقت قدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به .

ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب ، فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه .

ويدل على هذا من النقل « **إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم** رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع » (٢٢٧٥)

فهذا إظهار السرور لقدومه ﷺ ، وهو سرور محمود ، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود .

(٢٢٧٥) حديث : « إنشاد النساء » بالدف والألحان « عند قدوم رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع »

قال العراقى : رواه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن عائشة معضلا وليس فيه ذكر للدف والألحان . اهـ.

قال مرتضى : هو فى الخلفيات وفيه ذكر الدف ويروى بزيادة :

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

فقد نقل عن جماعة من الصحابة ﷺ «أنهم حجلوا في سرور أصابهم» (٢٢٧٦)

كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به ، وفي كل سبب مباح من أسباب السرور .

ويدل على هذا ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « **لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا الذي أسأمه ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو** » (٢٢٧٧) .

إشارة إلى طول مدة وقوفها .

وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحيهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « **أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفقان وتضربان ، والنبي ﷺ متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه ، فكشف النبي ﷺ**

(٢٢٧٦) حديث : « حجل جماعة من الصحابة في سرور أصابهم » **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني .اهـ.

(٢٢٧٧) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « رأيت رسول الله ﷺ سترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي اسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » إشارة إلى طول مدة وقوفها **قال العراقي** : هو كما ذكره المصنف أيضًا في الصحيحين لكن قوله أنه فيهما من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر بل هو عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخاري من طريق معمر وفيه بعد قوله الحديثة السن تسمع اللهو وأخرجه أيضا من طريق صالح بن كيسان وفيه والحبشة يلعبون في المسجد ولم يذكر ما بعده وأخرجه أيضا تعليقا ومسلم مسندا من طريق يونس بن يزيد وفيه حريصة على اللهو وذلك عند مسلم وليس عند البخاري فإنه إنما ساق هذه الرواية المعلقة مختصرة وأخرجه البخاري أيضا من طريق الأوزاعي مثل سياق المصنف وأخرجه مسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحارث وفيه فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن خمستهم عن الزهري عن عروة عن عائشة وله طرق أخرى تركتها اختصارا ورواه أحمد بلفظ فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة للهوى وسيأتي قريبا .

عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » (٢٢٧٨) .

وقالت عـائشة رضي الله عنها : « رأيت النبي ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ : أمنا يا بنى أرفدة»(٢٢٧٩) يعنى من الأمن .

وفى حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه « وفيه تغنيان وتضربان » (٢٢٨٠) .

(٢٢٧٨) حديث : روى مسلم والبخاري فى حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تدنفان وتضربان والنبى ﷺ متغش بثوبه » أى مخمر وجهه « فانتهرهما » أى زجزهما « أبو بكر فكشف النبى ﷺ عن وجهه فقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » **قال العراقى :** هو كما ذكر المصنف فى الصحيحين لكن قوله إنه فيهما من رواية عقيل عن الزهرى ليس كما ذكر بل هو عند البخارى كما ذكره وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى سنة العيد وفى أبواب متفرقة من طرق وفى بعضها ما سيأتى للمصنف قريبا وأخرجه مسلم في العيد وأخرجه النسائى فى عشرة النساء .

(٢٢٧٩) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : «رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر » رضي الله عنه « فقال النبى ﷺ أمنا يا بنى ارفدة » يعنى من الأمن **قال العراقى :** تقدم في حديث رقم ١٤٧٩ ص ١٢٩٧ دون زجر عمر لهم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله أمنا يا بنى أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائى فإنما هم بنو ارفدة ولهما من حديث عائشة دونكم يا بنى أرفدة وقد ذكره المصنف بعد هذا .اهـ.

(٢٢٨٠) حديث : قال عمرو بن الحارث عن ابن شهاب رضي الله عنه نحوه «وفيه يغنيان ويضربان » يريد المساواة فى أصل المعنى مع اختلاف اللفظ فإذا اتفق اللفظان قالوا مثله . **قال العراقى :** رواه مسلم وهو عند البخارى من رواية الأوزاعى عن ابن شهاب .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه صاحب العوارف من طريق عمر بن الخطاب عن الأوزاعى وفيه تغنيان وتضربان بدفين ولمسلم فى العيد تغنيان وتدففان وتضربان .

وفى حديث أبى طاهر عن وهب بن عبد الله رضي الله عنهما « **لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى ، والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ ، وهو يسترنى بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا الذى أنصرف** » (٢٢٨١) .

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت : « **كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ ، قالت : وكان يأتينى صواحب لى فكن يتقنعن من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يسر لمجيئهن إلىَّ فيلعبن معى** » (٢٢٨٢) .

(٢٢٨١) حديث : قال أبى الطاهر عن ابن وهب رضي الله عنهما : « والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبه ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف » فيه بيان ما كان عليه ﷺ من الرأفة والرحمة وحسن الخلق ومعاشرة الأهل بالمعروف . **قال العراقى :** هذا الحديث رواه مسلم أيضا .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا أحمد والنسائى ولفظهم بعد قوله لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه وزاد بعد قوله انصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة للهوى وعند الشيخين الحريصة على اللهو وفى رواية لمسلم الجارية العربة وهى المشتهية للعب المحبة له ومعنى الحريصة للهوى أنها حريصة على تحصيل ما تهواه نفسها من اللعب واللهو ولم تتصف بالحرص لأجل محبة المال كما يعهد من غيرها فإنها لم تكن بتلك الصفة وما كان حرصها إلا كحرص الصغار على تحصيل ما تهوى نفسها من النظر إلى اللعب ورواية الصحيحين الحريصة على اللهو الواردة فى حديث رقم ٢٢٧٧ ص ٢٠١٤ أظهر توجيها وهو منصوب على الحال وفى رواية البخارى الحديثة السن تسمع اللهو يعنى أن حداثة سنها مع سماع اللهو يوجب ملازمتها له فما ظنك برؤية اللهو التى هى أبلغ من سماعه .

(٢٢٨٢) حديث :قالت عائشة رضي الله عنها : « كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكان تأتينى صواحبات لى فكن يستحيين من رسول الله ﷺ وكان النبى ﷺ يسربهن إلى فيلعبن معى» **قال العراقى :** هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف ولكن مختصرا إلى قولها فيلعبن معى .اهـ.

قال مرتضى : روياه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفى لفظ لمسلم وهى اللعب ورواه أحمد بلفظ كنت ألعب بالبنات فتأتينى صواحبى فإذا دخل رسول الله ﷺ فررن منه فيأخذهن رسول الله ﷺ فيردهن إلى .

وفي رواية « أن النبي ﷺ قال لها يوما : ما هذا ؟ قالت : بناتي ، قال : فما هذا الذي أرى في وسطهن ؟ قالت : فرس ، قال : ما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان، قال: فرس له جناحان ! قالت : أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة ! قالت : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه » (٢٢٨٣) .

والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف ، والرقاع من غير تكميل صورته ، بدليل ما روي في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني ، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال : دعهما ، فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فلما سألت رسول الله ﷺ ولما قال : تشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم ، فأقامني وراءه وخدي على خده ، ويقول : دونكم يا بني أرفدة ، حتى إذا مللت ، قال : حسبك، قلت: نعم ، قال : فاذهبي » (٢٢٨٤) .

(٢٢٨٣) حديث : « أن النبي ﷺ قال لها يوما ما هذا قالت بنياتي قال فما هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان فقال فرس له جناحان قالت أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة قالت فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه » **قال العراقي :** وهذه الرواية ليست من الصحيحين وإنما رواها أبو داود بإسناد صحيح انتهى .

(٢٢٨٤) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « دخل » عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد » وفي لفظ أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ فقال ﷺ : يا أبا بكر أن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا **قال العراقي :** هو في الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التي عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكره .اهـ.

=

وفى صحيح مسلم : « فوضعت رأسى على منكبه ، فجعلت انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرفت » .

فهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين وهو نص صريح فى الغناء واللعب ليس بحرام ، **وفيها دلالة على أنواع من الرخص :**

الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب .

والثانى : فعل ذلك فى المسجد .

والثالث : قوله ﷺ دونكم يا بنى ارفدة وهذا أمر باللعب والتماس له ، فكيف يقدر كونه حراما .

والرابع : منعه لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد أى هو وقت سرور ، وهذا من أسباب السرور .

والخامس : وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقته عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والمنع منه .

= **قال مرتضى :** أخرجه البخارى فى أبواب متفرقة وفى بعضها أنه دخل عليها فى يوم عيد فطر أو أضحى وعندها قينتان تغنيان وتدففان وفى هذه الطريق فقال له النبى ﷺ دعهما وأخرجه مسلم فى العيد والنسائى فى عشرة النساء « يلعب فيه السودان » وهم الحبشة « بالحراب والدراق فأما سألت رسول الله ﷺ وأما قال » ابتداء « تشتهى » يا عائشة «تنظرين» إلى لعبهم « فقلت نعم فأقامنى وراءه وخدى على خده» وفى رواية أحمد والنسائى بين أذنه وعاتقه « ويقول دونكم يا بنى ارفدة» وهو لفظ الصحيحين كما تقدمت الإشارة إليه فى حديث رقم ١٤٧٩ ص ١٢٩٧ وحديث رقم ٢٢٧٧ ص ٢٠١٤ وحديث رقم ٢٢٧٩ ص٢٠١٥ «حتى إذا مللت قال حسبك» أى كفاك « قلت نعم قال فاذهبى » رواه البخارى ومسلم ، وفى صحيح مسلم خاصة « فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرفت » ولا تنافى بين الروايتين المذكورتين وبين رواية أحمد والنسائى المذكورة أيضا فإنها إذا وضعت رأسها على منكبه صارت بين أذنه وعاتقه فإن تمكنت فى ذلك صار خدها على خده .

والسادس : قوله ﷺ ابتداء لعائشة : « أتشتهين أن تنظرى » ، ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة ، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور ، فيقدم محذور على محذور ، فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه .

والسابع : الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان ، وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك .

والثامن : أن رسول الله ﷺ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع، ولو كان يضرب بالأوتار فى موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه ، فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة .

فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج فى أوقات السرور ، كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور ، وفى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر ، وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ، ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام ، فهو أيضا مظنة السماع .

السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس ، فإن كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق، والشوق وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشىء المرجو ، ففى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق ، وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الإطناب فى وصف حسن المحبوب .

وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته، فيصغى إلى غنائها لتضاعف لذته فى لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر، وبالسماع الأذن ، ويفهم لطائف معانى الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة.

فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ (العنكبوت : ٦٤) وهذا منه ، وكذلك إن غصبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب ، فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء .

وأما من يتمثل فى نفسه صورة صبى أو امرأة لا يحل له النظر إليها ، وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل فى نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر فى الأفعال المحظورة ، ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه .

وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شىء من ذلك وذلك ممنوع فى حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع .

ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع .

السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه ، فلا ينظر إلى شىء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه ، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ، ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها .

وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدًا مأخوذًا من الوجود والمصادفة أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابًا بالروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات ، كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات، وهى غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها .

فالمفضى إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصى المباحات ، وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح ، وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب فى تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات ، والبليد الجامد القاسى القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبى من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه .

ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك ، والإدراك يستدعى مدركا ، ويستدعى قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ ، فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق ، وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ، ولذة المعقولات من فقد العقل ، وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب ، فمن فقدها عدم لا محالة لذته .

ولعلك تقول : كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له ؟

فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته ، والمحبة إذا تأكدت سُميت عشقا ، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ، ولذلك قالت العرب : إن محمدًا قد عشق ربه لما رآه يتخلى للعبادة فى جبل حراء .

واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال .

« والله تعالى جميل يحب الجمال» (٢٢٨٥) .

ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر ، وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب .

ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها ، فيقال إن فلانا حسن وجميل ، ولا تراد صورته وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة ، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة ، وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا .

وكم من الغلاة فى حب أرباب المذاهب كالشافعى ومالك وأبى حنيفة رضي الله عنهم حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق فى الغلو والمبالغة .

(٢٢٨٥) حديث : «الله جميل» له الجمال المطلق فى الذات والصفات والأفعال « يحب الجمال » منكم في قلة اظهار الحاجة لغيره وسر ذلك أنه كامل فى أسمائه وصفاته فله الكمال المطلق من كل وجه ويحب أسماءه وصفاته ويحب ظهور آثارها فى خلقه فإنه من لوازم كماله.

قال مرتضى : أغفله العراقى وهذا قد روى مرفوعا من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال إن الله جميل يحب الجمال أخرجه مسلم فى الإيمان والترمذى فى البر وأخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة الباهلى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وابن عساكر من حديث جابر وابن عمرو فى بعض طرق حديث ابن مسعود قلت يا رسول الله أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة فذكره قال الحاكم احتجا برواته وأقره الذهبى وقد وهم الحاكم فى استدراكه فإنه أخرجه مسلم وأخرجه أبو يعلى والبيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى بزيادة ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس وعند ابن عدى من حديث ابن عمر بزيادة سخى يحب السخاء نظيف يحب النظافة .

ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته - أجميل هو أم قبيح ؟ - وهو الآن ميت ، ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب فى العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه ، وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم أدرك بالعقول ، والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه ، ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته فليت شعرى كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما فى حقه لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته .

فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ، ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش .

وسيأتى تحقيق هذه الإشارة فى كتاب المحبة ، ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل، بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى، إذ ليس فى الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ، ومن عرف الأفعال من حيث أنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره .

فمن عرف الشافعى مثلا رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث أنه تصنيفه لا من حيث أنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ، ولم يجاوز معرفة الشافعى إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره .

فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله ، فمن عرفها من حيث هى صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع ، كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه .

ومن حد هذا العشق أنه لا يقبل الشركة ، وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواه يتصور له نظير ما فى الوجود وإما فى الإمكان .

فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا فى الإمكان ولا فى الوجود ، فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة .

نعم الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصال الذى هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام ، وقضاء شهوة الوقاع ، فمثل هذا الحمار ينبغى أن لا يستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والأنس ، بل يجنب هذه الألفاظ والمعانى كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان .

فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها فى حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه ، والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فلينتبه لهذه الدقيقة فى أمثال هذه الألفاظ ، بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب .

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « **أنه ذكر غلاما كان فى بنى إسرائيل على جبل ، فقال لأمه : من خلق السماء ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : فمن خلق الجبال ؟ قالت : الله عز وجل، قال: فمن خلق الغيم ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : إنى لأسمع لله شأنا ، ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع** » (٢٢٨٦) .

(٢٢٨٦) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « أن غلاما كان فى بنى إسرائيل=

وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد .

وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى .

قال بعضهم : رأيت مكتوبا فى الإنجيل : غنينا لكم فلم تطربوا ، وزمرنا لكم فلم ترقصوا ، أى شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا .

فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته ، وقد ظهر على القطع إباحته فى بعض المواضع والندب إليه فى بعض المواضع .

فإن قلت : فهل له حالة يحرم فيها ؟

فأقول : إنه يحرم **بخمسة عوارض :**

عارض فى المسمع ؛ وعارض فى آلة السماع ؛ وعارض فى نظم الصوت ؛ وعارض فى نفس المستمع أو فى مواظبته ؛ وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هى المسمع والمستمع وآلة الإسماع .

العارض الأول : أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها ، وتخشى الفتنة من سماعها ، وفى معناها الصبى الأمرد الذى تخشى فتنته .

وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء ، بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها فى المحاورة من غير ألحان ، فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها فى القرآن أيضا ، وكذلك الصبى الذى تخاف فتنته .

= كان على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل فقال من خلق الأرض قالت الله عز وجل فقال من خلق الجبال قالت الله عز وجل فقال من خلق هذا الغيم قالت الله عز وجل فقال إنى لاسمع لله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع » وفى القوت وفى العوارف : أنه ذكر غلاماً فى بنى إسرائيل كان على جبل، وفيهما : ثم رمى بنفسه والباقى سواء **قال العراقى :** رواه ابن حبان .اهـ.

فإن قلت : فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسما للباب ، أو لا يحرم إلا حيث يخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت ؟

فأقول : هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها **أصلان** :

أحدهما : أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة ، أو لم تخف ، لأنها مظنة الفتنة على الجملة ، فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور .

والثانى: أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة ، فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الحسم بل يتبع فيه الحال .

وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين ، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق ، إذ الشهوة تدعو إلى النظر، فى أول هيجانها ، ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع ، بل هو أشد .

وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء ، فى زمن الصحابة ﵃ يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة ، وغير ذلك .

ولكن للغناء مزيد أثر فى تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر فى الصبيان أولى، لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات ، فينبغى أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الأقيس عندى .

ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة ﵂ إذ يعلم أنه ﷺ كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه ، فلذلك لم يحترز.

فإذاً يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ، ولا يبعد أن يختلف الأمر فى مثل هذا بالأحوال فإنا نقول للشيخ : أن يقبل زوجته وهو صائم

وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع فى الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام ، فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص .

العارض الثانى : فى الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

العارض الثالث : فى نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شىء من الخنا والفحش والهجو ، أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان ، والمستمع شريك للقائل وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدى الرجال .

وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز .

فقد « **كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ينافح عن رسول الله ﷺ ويهاجى الكفار وأمره ﷺ بذلك** » (٢٢٨٧) .

فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء ، فهذا فيه نظر ، والصحيح أنه لايحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن ،

(٢٢٨٧) حديث : « أمره ﷺ حسان بن ثابت» رضي الله عنه « بهجاء المشركين » ويرد عليهم مهاجاتهم ويوضع له منبر فى المسجد لذلك **قال العراقى :** متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك .اهـ.

قال مرتضى: رواه البخارى عن سليمان بن حرب ورواه مسلم من أوجه عن شبعة وعند مسلم من حديث عائشة هجاهم حسان فشفى واشتفى وعندهما أيضا من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول يا حسان أجب عن رسول الله اللهم أيده بروح القدس فقال أبو هريرة نعم .

وعلى المستمع أن لاينزله على امرأة معـينة فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريتـه ، فإن نزله على أجنبيـة فهو العـاصى بالتنزيل ، وإجالة الفكر فـيه ومن هذا وصفه فينبغى أن يجتنب السماع رأسا فـإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سـواء كان اللفظ مناسـبا لـه أو لم يكن ، إذ ما من لفظ إلا ويمكـن تنزيله على معـان بطريق الاستـعارة ، فالذى يغلب على قلبـه حب الله تعالى يتـذكر بسواد الصدغ مـثلا ظلمة الكفر ، وبنضارة الخد نور الإيمان ، وبذكـر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فى زمرة المردودين وبذكـر الرقيب المشوّش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوّشة لدوام الأنس بالله تعالى .

ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتـفكر ومهلة بل تسبق المعانى الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ .

كمـا روى عن بعض الشيوخ أنـه مر فى السوق فـسمع واحدا يقـول : الخيار عـشرة بحبة، فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار .

واجتاز بـعضهم فى السوق فـسمع قائلا يقول : يا سـعتر برى ، فغلبـه الوجد ، فقيل له : على ماذا كان وجدك ؟ فقال : سمعته كان يقول اسع تر برى .

حتى إن العجمـى قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلـغة العرب ، فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية ، فيفهم منها معان أخر أنشد بعضهم :

وما زارنى فى الليل إلا خيالة

فتواجد عليـه رجل أعجمى ، فسئل عن سبب وجده فـقال : إنه يقول ما زار يم وهو كما يقـول ، فإن لفظ زار يدل فى العجمـية على المشرف على الهـلاك فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك : فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة .

والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه ، وفهمه بحسب تخيله ، وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته ، فهذا الوجد حق وصدق ، ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه .

فإذًا ليس فى تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة ، بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى أن يحترز من السماع بأى لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ، ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة.

العارض الرابع : فى المستمع ؛ وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه ، وكان فى غرة الشباب ، وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين ، أو لم يغلب ، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة ، وتحتد بواعث الشر ، وذلك هو النصرة لحزب الشيطان ، والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان ، وهى الشهوات وبين حزب الله تعالى ، وهو نور العقل إلا فى قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية .

وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها ، فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها ، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها، والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص ، فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به .

العارض الخامس : أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا، ولا غلبت عليه شهوة ، فيكون فى حقه محظورا، ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه إذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته ، فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته .

فإن المواظبة على اللهو جناية ، وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة، فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة ، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام ، فإنه ممنوع ، وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله ﷺ ، ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج ، فإنه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة .

ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجة له فى بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل فى سائر الأوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة أو فى الدين كالصلاة والقراءة.

واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته ، فما أقبح ذلك ، فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة، فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره ، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام ، فهذا المباح كسائر المباحات .

فإن قلت : فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح فى بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول فى المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ .

فاعلم أن هذا غلط ، لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر ، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج ، فلا يمنع الإطلاق ، ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا ؟ قلنا : إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذى يستضر به ، وإذا سئلنا عن الخمر ، قلنا : إنها حرام ، مع أنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هى من حيث أنها خمر حرام، وإنما أبيحت لعارض الحاجة والعسل من حيث أنه عسل حلال ، وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه .

فإن البيع حلال ، ويحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض ، والسماع من جملة المباحات من حيث أنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته ، فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل .

وأما الشافعى رضي الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلا ، وقد نص الشافعى وقال فى الرجل يتخذه صناعة لا تجوز شهادته ، وذلك لأنه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل، ومن اتخذه صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط المروءة ، وإن لم يكن محرما بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتى لأجله، وإنما يعرف بأنه قد يطرب فى الحال ، فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ، ولم يبطل شهادته ، واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضي الله عنها .

وقال يونس بن عبد الأعلى : سألت الشافعى رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسماع ، فقال الشافعى : لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه فى الأوصاف ، فأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح ، وحيث قال : إنه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث أنه لهو ليس بحرام ، فلعب الحبشة ورقصهم لهو .

وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ولا يكرهه ، بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه ، فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة ، فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم ، قال الله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ (البقرة : ٢٢٥).

فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشىء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم ، والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به ، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص .

وأما قوله يشبه الباطل ، فهـذا لا يدل على اعتقاد تحريمه ، بل لو قال : هو باطل صريحا لما دل على التحريم ، وإنما يدل على خلوه عن الفائدة .

فالباطل مـا لا فائدة فيه ، فقـول الرجل لامرأته مثلا : بعت نفسى منك وقولها اشتـريت عقد باطل مهـما كان القصـد اللعب والمطايبة ، وليس بحرام إلا إذا قـصد به التمليك المحقق الذى منع الشرع منه .

وأمـا قوله مكروه ، فـينزل على بعض المواضع التى ذكـرتهـا لك ، أو ينزل على التنزيه ، فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج .

وذكر أنى أكره كل لعب وتعليله يدل عليـه ، فإنه قال : ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة ، فهذا يدل على التنزيه ، ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا ، بل قـد ترد الشهـادة بالأكل فى السوق وما يخـرم المروءة ، بل الحيـاكة مبـاحة وليست من صنائع ذوى المروءة .

وقد ترد شـهادة المحترف بالحـرفة الخسـيسة ، فتـعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه ، وهذا هو الظن أيضا بغـيره من كبار الأئمـة وإن أرادوا التحريم ، فمـا ذكرناه حجة عليهم .

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ (لقمان: ٦) ، قال ابن مسعود والحسن البصرى والنخعي رضي الله عنهم : إن لهو الحديث هو الغناء .

وروت عـائشة رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قـال : « **إن الله تعالى حـرم القينة وبيعـها وثمنها وتعليمها** » (٢٢٨٨) .

(٢٢٨٨) حديث : قالت عائشـة رضي الله عنها : « إن الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنهـا وتعليمها » **قـال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد ضعيف قال البيهقى ليس بمحفوظ .اهـ.

فنقول : أما القينة فالمراد بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب ، وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام ، وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور .

فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث ، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة ، بدليل ما روى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضي الله عنها .

وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله ، فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى ، وهو المراد فى الآية ، ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ولايقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله ﷺ فهم عمر بقتله ، ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

واحتجوا « بقوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ (النجم: ٥٩ - ٦١) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الغناء » (٢٢٨٩) بلغة حمير يعنى السمد .

(٢٢٨٩) حديث : « قوله تعالى ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قال ابن عباس» رضي الله عنهما : « هو الغناء » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه هكذا عبد الرزاق فى المصنف والفريابى وأبو عبيد فى فضائله وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى السنن وقال عكرمة هو الغناء بلغة حمير يعنى السامد أخرجه سعيد ابن منصور وعبد بن حميد وابن جزء عنه سمد لنا أى غنى لنا وقد فسرت بغير ما ذكر فقد نقل عن ابن عباس أيضا تفسيرها بمعرضين عنه لاهين أخرجه عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عنه فى قوله تعالى: ﴿سَامِدُونَ﴾ قال لاهون معرضون عنه وقال قتادة أى غافلون أخرجه عبد الرزاق وعبد بن=

فنقول ينبغى أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه ، فإن قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم ، فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم فى معرض الاستهزاء بالمسلمين .

كما قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (الشعراء : ٢٢٤) .

أراد به شعراء الكفار ، ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر فى نفسه .

واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى** » (٢٢٩٠) فقد جمع بين النياحة والغناء .

= حميد وابن جرير وأخرج الفريابى وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلى شامخين ألم تر إلى البعير كيف يخطر شامخا وقيل معناه مستكبرون ونقل ذلك عن الضحاك وقيل غضاب مبرطمون ونقل ذلك عن مجاهد أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وقال المهدوى المعروف فى اللغة أن السمود اللهو والإعراض وقال المبرد سمد معناه صمد وقال الجوهرى سمد سمودا رفع رأسه تكبرا وكل رافع رأسه فهو سامد وقال ابن الأعرابى سمدت سمودا علوت وسمدت الإبل فى سيرها جدت والسمود اللهو والسامد اللاهى وأخرج الطيبى فى فوائده والطبرانى عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله: ﴿سَامِدُونَ﴾ قال السمود اللهو والباطل قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهى تبكى قوم عاد :

ليت عادًا قبلوا الحق ... ولم يبدوا جحودا
قيل قم فانظر إليهم ... ثم دع عنك السمودا

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن أبى خالد الوالبى قال خرج على بن أبى طالب علينا وقد أقيمت الصلاة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال ما لكم سامدون لا أنتم فى صلاة ولا أنتم جلوس تنتظرون وأخرج ابن جرير من طريق منصور بن إبراهيم قال كانوا يكرهون أن يقوم القوم ينتظرون الإمام وكان يقال ذلك من السمود أو هو السمود وقال منصور حين يقوم المؤذن فيقومون ينتظرون وقيل فى معناه واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام وهذا روى عن الحسن .

(٢٢٩٠) حديث : قال جابر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « كان إبليس أول من ناح وأول من =

قلنا : لا جرم ، كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم ، فكذلك يستثنى الغناء الذى يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه ، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد فى بيت رسول الله ﷺ وغناؤهن عند قدومه ﷺ بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال: « **ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك**» (٢٢٩١) .

تغنى» **قال العراقى :** لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده .اهـ.

قال مرتضى : وكذا ذكر تلميذه الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الأذكار عند قوله: وذكرأبو شجاع الديلمى فى كتاب الفردوس عن على رفعه أن أول من تغنى وزمر وحدا إبليس ما لفظه ولم أقف له على أصل ولا ذكر له ولده أبو منصور فى مسنده سندا .اهـ. وفى لفظ أن إبليس أول من تغنى وزمر ثم حدا ثم ناح ذكره صاحب الامتاع وذكر القرطبى مثل ذلك فى كشف القناع وقال فإن صح الحديث وإلا فالمعنى غير بعيد إذ لا يناسب أن يظهر هذا الفعل الخسيس إلا من مثل إبليس .اهـ.

ثم قال مرتضى : فى الجواب عن الآية لا نسلم أن صوته الغناء فإنه ليس موضوعا له فينصرف إليه ولا دل عليه دليل فى كتاب ولا سنة وما قاله مجاهد معارض بمثله فالمنقول عن ابن عباس أن معنى قوله بصوتك بدعائك إلى معصية الله تعالى ونقل ذلك عن قتادة أيضا وما رشحوه به من أن إبليس أول من تغنى لو صح لم تكن فيه حجة فما كل ما فعله إبليس يكون حراما على أن فى بعض ألفاظه كما تقدم أنه أول من حدا وليس الحداء حراما بالاتفاق فإن ادعوا أن الدليل دل على إباحة الحداء فخرج بدليل .

ثم قال مرتضى: وقد دل الدليل على إباحة الغناء ولم يثبت من طريق صحيح المنع عنه .

(٢٢٩١) حديث : قال أبو أمامة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك» **قال العراقى :** رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والطبرانى فى الكبير وهو ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : رواه الطبرانى من طريق مسلمة بن على الدمشقى عن يحيى بن الحارث الذمارى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة رفعه بلفظ لا يحل بيع المغنيات ولا =

قلنا : هو منزل على بعض أنواع الغناء الذى قدمناه ، وهو الذى يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين .

فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد ، أو حدوث الولد أو قدوم الغائب ، فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التى نقلناها من الصحاح ، فالتجويز فى موضع واحد نص فى الإباحة والمنع فى ألف

= شراؤهن ولا الجلوس إليهن ثم قال والذى نفسى بيده ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا ارتدف على ذلك شيطان على عاتقه هذا وشيطان على عاتقه هذا حتى يسكت وقد رواه أيضا ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى وابن مردويه ولفظهم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا تجارة فيهن وثمنهن حرام إنما أنزلت هذه الآية فى ذلك ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ والذى بعثنى بالحق ما رفع رجل عقيرته بالغناء إلا بعث الله تعالى عند ذلك شيطانين يرتدفان على عاتقيه ثم لايزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت واقتصر أحمد والبيهقى على صدر هذا الحديث إلى قوله حرام وقال الترمذى فى السنن حدثنا قتيبة حدثنا بكر بن مضر عن عبيد الله بن زحر عن على بن أبى يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام فى مثل هذا أنزلت هذه الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال الترمذى وفى الباب عن عمر بن الخطاب وأخرجه الطبرانى فى الكبير من عدة طرق كلها عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم فأما مسلمة بن على فقال عنه يحيى بن معين ليس بشىء وقال البخارى منكر الحديث وكذا قال أبو حاتم والقاسم بن عبد الرحمن قال فيه يحيي بن معين لا يساوى شيئا وقال أحمد منكر الحديث وقال ابن حبان يروى عن الصحابة المعضلات ويأتى عن الثقات بالأسانيد المقلوبات وأما عبيد الله بن زحر فى رواية الترمذى فقال الترمذى نفسه تكلم فيه بعض أهل العلم وضعفه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد قيل إن أضعف الأسانيد هذا الإسناد وقال ابن طاهر وغيره عن أبى مسهر الغسانى أنه قال عبيد الله بن زحر صاحب كل معضلة وليس على حديثه اعتماد وقال يحيى بن معين كل حديثه ضعيف وقال أبو حاتم منكر الحديث جدا يروي الموضوعات عن الثقات وإذا روى عن يزيد أتى بالطامات وإذا اجتمع فى إسناد هو ويزيد والقاسم فلا يكون ذلك الحديث إلا مما عملته أيديهم لا يحل الاحتجاج بهذه الصحيفة وعلى بن يزيد قال النسائى متروك الحديث وقال أبو حاتم منكر الحديث جدا والقاسم قال يحيى لا يساوى شيئا وقال أحمد منكر الحديث وقال ابن حبان يروى عن الصحابة المعضلات ويروى عن الثقات بالأسانيد المقلوبات .

محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل ، أما الفعل ، فلا تأويل له ، إذ ما حرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط ، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود.

واحتجوا بما روي عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته** »(٢٢٩٢) .

قلنا : فقوله باطل لا يدل على التحريم ، بل يدل على عدم الفائدة ، وقد يسلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام ، بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا .

كقوله صلى الله عليه وسلم : « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث** »(٢٢٩٣) .

(٢٢٩٢) حديث : قال عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته » وفي نسخة امرأته وفي أخرى أهله **قال العراقي:** رواه أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب اهـ.

قال مرتضى : هذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولا يلتفت إلى قول ابن حزم بعد أن خرجه من طرق وضعفها فيه مجهولون ولفظ النسائي كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو .... الحديث ورواه النسائي أيضا والباوردي والطبراني في الكبير والبيهقي والضياء من حديث جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاري بلفظ كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة ملاعبة الرجل امرأته وتأديب الرجل فرسه ومشي الرجل بين الغرضين وتعليم الرجل السباحة قال البغوي ولا أعلم لجابر بن عمير غير هذا الحديث ورواه النسائي أيضا من حديث أبي هريرة بلفظ كل شيء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة انتضالك بقوسك وتأديبك فرسك وملاعبتك أهلك فإنها من الحق .... الحديث .

(٢٢٩٣) حديث : قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل » دم « امرئ » مسلم « إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » **قال العراقي** : متفق عليه من حديث ابن مسعود .اهـ.

قال مرتضى : ورواه عبد الرزاق في المصنف وأحمد وابن أبي شيبة والشيخان والأربعة من حديث ابن مسعود وفي لفظ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل زنى بعد إحصان فيرجم أو ارتد بعد إسلام فيقتل أو قتل نفسا بغير حق فقتل به رواه كذلك عبد الرزاق والطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم من=

فإنه يلحق به رابع وخامس ، فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا التلذذ ، وفى هذا دليل على أن التفرج فى البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات - مما يلهو به الرجل - لا يحرم عليه شىء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل .

واحتجوا بقول عثمان ﷺ : « **ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى مذ بايعت بها رسول الله** ﷺ » (٢٢٩٤) .

قلنا : فليكن التمنى ومس الذكر باليمنى حراما إن كان هذا دليل تحريم الغناء، فمن أين يثبت أن عثمان ﷺ كان لا يترك إلا الحرام ؟

واحتجوا بقول ابن مسعود ﷺ : « **الغناء ينبت فى القلب النفاق** - وزاد بعضهم- **كما ينبت الماء البقل** » (٢٢٩٥) . ورفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ وهو غير صحيح .

= حديث عثمان بن عفان ورواه البيهقى والضياء من حديث عائشة ورواه أحمد من حديث طلحة .

(٢٢٩٤) حديث : قال عثمان بن عفان ﷺ : « ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى مذ بايعت رسول الله ﷺ » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه ابن ماجة فى سننه .

(٢٢٩٥) حديث : قال ابن مسعود ﷺ : « الغناء ينبت النفاق فى القلب » أى هو سبب له ومنبعه وأسه وأصله وزاد بعضهم « كما ينبت الماء البقل » ورفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ وهو غير صحيح **قال العراقى :** قال المصنف : والمرفوع غير صحيح لأن فى إسناده من لم يسم ، رواه أبو داود وهو فى رواية ابن العبد ليس فى رواية اللؤلؤى ورواه البيهقى مرفوعا وموقوفا . اهـ.

قال مرتضى : روي مرفوعا من عدة طرق كلها ضعيفة قال البيهقي والصحيح أنه من قول ابن مسعود وفى بعض طرقه من هو مجهول وفى بعضها ليث بن أبى سليم وقد نقل النووى فى تهذيب الأسماء واللغات الاتفاق على ضعفه وأقره الزركشى وقال ابن طاهر رواه الثقات عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم ولم يجاوز فهو من قول إبراهيم . اهـ.

=

قالوا ومر على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى ، فقال : ألا لا أسمع الله لكم ، ألا لا أسمع الله لكم .

وعن نافع رضي الله عنه أنه قال : **« كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق ، فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ، ثم عدل عن الطريق ، فلم يزل يقول : يا نافع أتسمع ذلك؟ حتى قلت : لا ، فأخرج أصبعيه ، وقال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع »** (٢٢٩٦) .

قال مرتضى : رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن إبراهيم قال كانوا يقولون . . . إلخ . فإذا ليس هو من قول إبراهيم وممن رواه مرفوعا ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي ورواه ابن عدى والديلمي من حديث أبي هريرة وأخرجه البيهقي من حديث جابر بلفظ الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وهو ضعيف أيضا فيه على بن حماد قال الدارقطني متروك وابن أبي رواد قال أبو حاتم أحاديثه منكرة وقال ابن الجنيد لا يساوى فلسا وإبراهيم بن طهمان مختلف فيه وقال بعضهم المراد بالغناء هنا غنى المال ورد عليه الغافقي ردا شنيعا من حيث أن الغنى من المال مقصور ولفظ الحافظ ابن حجر وزعم أن المراد بالغناء هنا غنى المال رد عليه بأن الرواية إنما هي بالمد وغنى المال مقصور .اهـ. وحاول صاحب الامتاع تصحيح معنى القصر فقال وهذا الذى قاله يعنى الغافقي إنما يتجه إن كان العلماء كلهم رووه بالمد وإن كان كذلك لم يبق لرده قوة ثم لو سلم أنهم رووه بالمد فتحرير الأداة من المد والحركات لايتحرر ولذلك لم يحتج أهل العربية بالرواية بالمعنى وخطؤا من احتج بها ممن تأخر لعدم الوثوق بتحرير اللفظ ولذلك وقع فيها لحن .

قال مرتضى : ومما يؤيد رواية المد ما رواه الديلمي من طريق مسلمة بن على حدثنا عمر مولى غفرة عن أنس رفعه الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب والذى نفسي بيده إن القرآن والذكر لينبتان الإيمان في القلب كما ينبت الماء العشب قال السخاوى قال النووى لا يصح وعزا القرطبي قول ابن مسعود السابق إلى عمر بن عبد العزيز قال وقال الحكم بن عتيبة حب السماع ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب .

قال مرتضى : ولكن عمر بن عبد العزيز صرح بأنه بلغه من الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع المغاني واللهج بهما ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق جعفر الأموى قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده كتابا فيه كذا وكذا فذكره فهذا ليس فيه أنه من قوله .

(٢٢٩٦) حديث : قال نافع رضي الله عنه : « كنت وابن عمر » رضي الله عنهما « في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج=

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : الغناء رقية الزنا .

وقال بعضهم : الغناء رائد من رواد الفجور .

وقال يزيد بن الوليد ﵁ : « **إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء، ويزيد الشهوة ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعله السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء داعية الزنا** » (٢٢٩٧) .

فنقول قول ابن مسعود ﵁ ينبت النفاق أراد به فى حق المغنى ، فإنه فى حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ، ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا فى غنائه ، وذلك أيضا لا يوجب تحريما .

فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة ، والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت فى القلب النفاق والزياء ، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله .

= أصبعيه من أذنيه وقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع » **قال العراقى :** ورفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر انتهى .

قال مرتضى : وصححه ابن ناصر شيخ ابن الجوزى وأخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى عن نافع قال كنت أسير مع ابن عمر فساقاه هكذا .

(٢٢٩٧) حديث : قال يزيد بن الوليد ﵁ : « إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا» .

قال مرتضى : أغفله العراقى ونقله القرطبى فى كشف القناع وأخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى من طريق أبى عثمان الليثى قال : قال يزيد بن الوليد . . . . إلخ ومن ذلك قول الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب ومر ابن عمر على جارية تغنى فقال لو كان الشيطان تاركا أحدا لترك هذه وقول الشعبى لعن المغنى والمغنى له وغير ذلك من الأقوال التى قد مر بعضها .

فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب المعاصى فقط ، بل المباحات التي هى مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ، ولذلك نزل عمر ﵁ عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا النفاق من المباحات .

وأما قول ابن عمر ﵄ : ألا لا أسمع الله لكم ، فلا يدل على التحريم من حيث أنه غناء ، بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث ، وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو ، فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام .

وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال .

وأما وضعه أصبعيه فى أذنيه ، فيعارضه أنه لم يأمر نافعا بذلك ، ولا أنكر عليه سماعه ، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه فى الحال ، وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم ، بل يدل على أن الأولى تركه .

ونحن نرى أن الأولى تركه فى أكثر الأحوال ، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر فى القلب ، فقد خلع رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه . أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب ، فلعله ﷺ كان فى حالة كان صوت زمارة الراعى يشغله عن تلك الحالة ، كما شغله العلم عن الصلاة ، بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كمالا بالإضافة إلى غيره .

ولذلك قال الحضرمى (الصواب : أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى) : ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من يسمع منه ؟ إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم ، فالأنبياء عليهم السلام على الدوام فى لذة السمع والشهود ، فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة .

وأما قول الفضيل : هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من الأقاويل القريبة منه ، فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ، ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين فى بيت رسول الله ﷺ .

وأما القياس ، فغاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق ، أو يقال هو لهو ولعب ، وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب.

قال عمر رضي الله عنه لزوجته : إنما أنت لعبة فى زاوية البيت .

وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التى هى سبب وجود الولد ، وكذلك المزح الذى لا فحش فيه حلال ، نقل ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة ، كما سيأتى تفصيله فى كتاب آفات اللسان إن شاء الله .

وأى لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج فى لعبهم ، وقد ثبت بالنص إباحته على أنى أقول اللهو مروّح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا أكرهت عميت ، وترويحها إعانة لها على الجد .

فالمواظب على التفقه مثلا ينبغى أن يتعطل يوم الجمعة ، لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام .

والمواظب على نوافل الصلوات فى سائر الأوقات ينبغى أن يتعطل فى بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة فى بعض الأوقات ، فالعطلة معونة على العمل ،

واللهـو معين على الجـد ، ولا يصبـر على الجد المحض والحق المر إلا نفـوس الأنبـياء عليهم السلام .

فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء .

فإذًا اللهو على هذه النية يصير قـربة ، هذا فى حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محـمودة يطلب تحريكها ، بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحـضة ، فينبغى أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذى ذكرناه .

نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمـال ، فإن الكامل هو الذى لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجود التلطف بها لسياقتهـا إلى الحق علم قطعًا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه .



الباب الثانى

فى آثار السماع وآدابه

اعلم أن أول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ، ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح ، **فلينظر فى هذه المقامات الثلاثة :**

المقام الأول فى الفهم :

وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع وللمستمع **أربعة أحوال :**

إحداها : أن يكون سماعه بمجرد الطبع ، أى لا حظ له فى السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات ، وهذا مباح ، وهو أخص رتب السماع ، إذ الإبل شريكة له فيه ، وكذا سائر البهائم ، بل لا يستدعى هذا الذوق إلا الحياة ، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية : أن يسمع بفهم ، ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين ، وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ، ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ، وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهى عنها .

الحالة الثالثة : أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه فى معاملته لله تعالى ، وتقلب أحواله فى التمكن مرة والتعذر أخرى ، وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين ، فإن للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه

بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء ، وله فى مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها ، وحالات تستقبله فى معاملاته .

فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر ، أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر ، أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب ، أو همول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال ، أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار ، فلابد أن يوافق بعضها حال المريد فى طلبه ، فيجرى ذلك مجرى القدح الذى يوارى زناد قلبه ، فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ، ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ، ويكون له مجال رحب فى تنزيل الألفاظ على أحواله .

وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه ، بل لكل كلام وجوه ، ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظوظ ، ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كى لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها، ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعانى من الأبيات ، ففى حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك ..

فقد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا تزور فقلت تعقل ما تقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد ، وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول: قال الرسول غدا نزور حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور ، فلما أفاق سئل عن وجده مم كان ؟ فقال : ذكرت قول الرسول ﷺ : « **إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل يوم جمعة مرة** » (٢٢٩٨) .

(٢٢٩٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة مرة » **قال**=

وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأيلة ، فإذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول:

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت المنظرة، وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال : يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت علىّ هذا البيت ، فأعادت فكان الشاب يقول : هذا والله تلونى مع الحق فى حالى ، فشهق شهقة ومات ، قال : فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى ، قال : ثم إن أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه ، فلما فرغوا من دفنه ، قال صاحب القصر : أشهدكم أن كل شيء لى فى سبيل الله ، وكل جوارى أحرار ، وهذا القصر للسبيل ، قال : ثم رمى بثيابه ، وأتزر بإزار وارتدى بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم ، وهم يبكون ، فلم يسمع له بعد خبر.

والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب فى المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه ، وميله عن سنن الحق ، فلما قرع سمعه ما يوافق حاله ، سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له:

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى ، وعلى الله وفيه فينبغى أن يكون قد أحكم قانون العلم فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع فى حق الله

= **العراقى :** رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد ابن عمرو عن الأوزاعى شيئا من هذا .اهـ.

وقال مرتضى : وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث جابر إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى فى كل جمعة فيقول لهم تمنوا علىَّ ما شئتم .... الحديث وقد تقدم شيء من ذلك فى باب الجمعة من كتاب الصلاة .

تعالى ما يستحيل عليه ، ويكفر به ، ففى سماع المريد المبتدى خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى .

ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه ، فلو سمعه فى نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل ، فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر ، وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق ، وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق ، وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه بل تقلب أحوال سائر العالم من الله ، وهو حق فإنه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه ، وتارة ينوره وتارة يظلمه ، وتارة يقسيه وتارة يلينه ، وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق ، وهذا كله من الله تعالى .

ومن يصدر منه أحوال مختلفة فى أوقات متقاربة ، فقد يقال له فى العادة : إنه ذو بداوات وأنه متلوّن ، ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلون فى قبوله ورده وتقريبه وإبعاده وهذا هو المعنى .

فسماع هذا كذلك فى حق الله تعالى كفر محض ، بل ينبغى أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ، ويغير ولا يتغير بخلاف عباده ، وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدى إيمانى ويحصل للعارف البصير بيقين كشفى حقيقى ، وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية ، وهو المغير من غير تغير ولا يتصور ذلك إلا فى حق الله تعالى ، بل كل مغير سواه ، فلا يغير ما لم يتغير .

ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش ، فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب ، وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت ، فإنه المستصفى لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين ، فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ، ولا أمد



بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم

فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فاجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء السيد **محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

جـ ٤